SEBHA UNIVERSITY JOURNAL OF HUMAN SCIENCES VOL.20 NO. 3 2021
DOI: 10.51984/JOHS.V20I3.1511

جامعة سبها للعلوم الإنسانية مجلة
Sebha University Journal of Human Sciences

Journal homepage: https://sebhau.edu.ly/journal/index.php/johs

مدينة مرزق ودورها في تجارة العبور الصحراوية خلال القرن التاسع عشر

أبوبكر سالم المهدي الشيباني

قسم التاريخ، كلية الآداب، جامعة سبها، ليبيا

الملخص

تهدف هذه الدراسة إلى تسليط الضوء على مدينة مرزق في إقليم فزان خلال القرن التاسع عشر ، ودورها المهم في تجارة العبور الصحراوية؛ حيث شكلت مدينة مرزق بحكم موقعها الجغرافي أهمية كبيرة في بروزها كمدينة محورية في التجارة البينية بين شمال ليبيا، وبلدان أفريقيا جنوب الصحراء الكبرى؛ فقد كانت تتوسط الصحراء الليبية وموقعها المهم على الطريق الصحراوي الذي يمر عبرها منطلقا من طرابلس إلى مملكة برنو، وبلاد السودان الأوسط. وتعالج هذه الدراسة مدينة مرزق ودورها المحوري في تجارة القوافل التجارية الصحراوية في إقليم فزان ، وكيف تحولت مرزق لمدينة تعج، وتزدهر بالتجارة في القرن التاسع عشر بفضل تجارة القوافل الصحراوية، وبفضل موقع المدينة المهم والذي يتوسط الصحراء الليبية. ومن أسباب اختيار الباحث لهذا الموضوع هو أن مدينة مرزق تعد مدينة مهمة في إقليم فزان؛ وعاصمة لإقليم في ذلك الوقت، الأمر الذى أعطى المينة دوراً مهما لتكون إحدى أهم مناطق العبور لتجارة الصحراوية، ومن ثم يرى الباحث أن مدينة مرزق وأهميتها الاقتصادية في القرن التاسع عشر لم تنل حقها الوافر من الدراسة والتحليل ، وعليه سيستخدم الباحث المنهج التاريخي السردي والتحليلي في دراسته.

الكلمات المفتاحية:

مرزق
فزان
تجارة
قوافل
تجارية

The City of Murzuq and its role in the desert transit trade during the Nineteenth Century

Abu Bakr salem Al Mahdi Al Shaibani

Department of History, Faculty of Arts, Sebha University, Libya

ABSTRACT

This study aims to shed light on the city of Murzuq in the Fezzan region during the nineteenth century, and its important role in the desert transit trade, as the city of Murzuq, by virtue of its geographical location, was of great importance in its spirit as a pivotal city in the intra-trade between northern Libya and the countries of sub-Saharan Africa. It was in the middle of the Libyan desert, and its important location on the desert road that passes through it from Tripoli to the Kingdom of Yarno and the Central Sudan. This study deals with the city of Murzuq and its pivotal role in the commercial desert caravan trade in the Fezzan region, and how Murzuq turned into a bustling and prosperous city with trade in the nineteenth century thanks to the desert caravan trade, and thanks to the city's important location in the middle of the Libyan desert. One of the reasons for the researcher's choice of this topic is that the desert transit trade through Murzuq is what made the city of economic and political importance more than anything else, and therefore the researcher believes that the city of Murzuq and its economic importance in the nineteenth century did not give rise to its abundant right of study and analysis, and accordingly the researcher will use The historical, narrative and analytical approach in its study.

Keywords:

Murzuq
Fezzan
Trade
Caravans
commercial

المقدمة

*Corresponding author:
E-mail addresses: alhart2009ly@gmail.com

Article History : Received 25 August 2020 - Received in revised form 27 October 2020 - Accepted 20 December 2020

تعد مدينة مرزق التي ازدهرت على يد أسرة أولاد امحمد والتي انتعشت اقتصاديا بانتقال مركز الثقل السياسي إليها في مطلع القرن السادس عشر من أهم الواحات الليبية ومراكزها الداخلية، لا سيما أنها تقع في واحة تتمتع بوفرة المياه وخصوبة التربة، وتأتيها القوافل التجارية عبر شبكة من طرق القوافل الرئيسة والفرعية، ومن ثم أصبحت مرزق نتيجة لتصاعد نفوذها السياسي ونشاطها الاقتصادي بوابة ليبيا الرئيسية لما وراء الصحراء، وحلقة اتصال لأهل السودان الأوسط والغربي بالعالم الخارجي.

وفي مطلع القرن التاسع عشر اتخذ القرمانليون والذين حكموا ليبيا من سنة 1711م إلى سنة 1835م وسائل سياسية لإنهاء حكم أولاد امحمد في مرزق عام 1813م تأمينا لعلاقات اقتصادية مع الدول الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى، وهم مملكة برنو وبلاد السودان الأوسط، لكن لم تعش هذه السيطرة القره مانلية على مرزق طويلا؛ إذ تجدد النزاع السياسي في مرزق مرة أخرى بدخول أولاد سليمان حلبة الصراع ففشل القرمانليون حتى نهاية حكمهم في عام 1835م في إحكام سيطرتهم على مرزق التي دخلت بعد مقتل عبدالجليل سيف النصر في عام 1842م تحت الحكم المباشر لإدارة العهد العثماني الثاني في طرابلس.

وعلى الرغم من أن الصراع السياسي على السلطة في مرزق كان مستمرا خلال النصف الأول من القرن التاسع عشر الميلادي ، فإن نشاط المدينة الاقتصادي والتجاري ظل مزدهراً في الفترة نفسها مع المناطق الصحراوية وما وراءها، وإن كان طريق القوافل التجارية المؤدي ما بين (طرابلس - مرزق - برنو) قد أصيب بشلل تام في كثير من الأحيان؛ بسبب تعرضه لغارات قبائل أولاد سليمان المناوئة للحكم العثماني الثاني، وكذلك لنشاط قطاع الطرق والبدو والذين أثروا تأثيراً سلبيا على طرق القوافل الصحراوية.

وفي ظل إدارة العهد العثماني الثاني أصبحت مرزق تخضع لسلطة القرار السياسي الصادر من طرابلس العاصمة التي كانت فيها كلمة قنصليات الدول الأوروبية والجاليات الأجنبية نافذة؛ فقد رضخت عاصمة الإيالة للضغوط البريطانية، وسمحت بإقامة قنصلية بريطانية في مرزق ومباشرة وكيلها قاقليوفي مهامه في 1843م ، وكان ذلك إيذانا بتدهور نشاط هذه المدينة الاقتصادي، لقد جاءت القنصلية البريطانية إلى مرزق تحت ستار مراقبة تجارة الرقيق ومحاربتها ، ولكن اتضح أن وكيل القنصلية قاقليوفي كان متورطا بالفعل في هذه التجارة البشعة، وان مهمته الأساسية كانت استعمارية وهي التجسس من أجل التسابق مع فرنسا للسيطرة على المناطق الصحراوية، ودواخل القارة الأفريقية، وقد واكب ذلك كله تشجيع نشاط الرحالة الأوروبيين وتصاعد التكالب الاستعماري الأوروبي على أفريقيا الغربية بين بريطانيا وفرنسا.

ومنذ بدايات النصف الأخير من القرن التاسع عشر الميلاد تحول ميزان النفوذ السياسي في المناطق الصحراوية وما وراءها لصالح فرنسا، وترتب على ذلك أن قامت بريطانيا في عام 1860م بإغلاق قنصليتها في مرزق وغدامس، وبدأت مدينة مرزق تفقد أهميتها الاقتصادية السابقة كمركز لطرق القوافل الوافدة من برنو؛ فتحولت معظم القوافل التجارية إلى الطريق الشرقي والطريق الغربي بعد أن نجحت فرنسا في إحكام سيطرتها في وقت لاحق على حوض تشاد ومنطقة تمبكتو غربا، وعلى الرغم من الضرر الاقتصادي الذي منيت به مرزق، خاصة بعد حدوث تحول كبير في طرق القوافل التجارية الصحراوية لصالح الممرات المائية المطلة على المحيط الأطلسي في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، فإنها لم تفقد كل شرايينها الاقتصادية، وظل نشاطها الاقتصادي مستمراً حتى نهاية القرن التاسع عشر يعتمد على تجارة العبور الصحراوية الوافدة عبر الطريقين الشرقي والغربي.

تهدف هذه الدراسة إلى الإجابة على عدة تساؤلات منها:

لماذا سميت مرزق بهذا الاسم ؟ وهل لتجارة القوافل الصحراوية دور في ذلك ؟

هل مدينة مرزق هي هبة تجارة القوافل الصحراوية والتي جعلت منها مدينة مزدهرة ومهمة ؟ أم أن المدينة تملك بدائل أخرى لازدهارها؟

ما هي أهم الطرق التجارية العابرة للصحراء الكبرى ؟

لماذا ضعفت تجارة القوافل التجارية الصحراوية التي تمر على مدينة مرزق في نهاية القرن التاسع عشر الميلادي ؟

كل هذه الأسئلة وغيرها سيتناولها الباحث بشكل مستفيض ومفصل خلال هذه الورقة البحثية، وقد تم تقسيم هذا البحث إلى ثلاث مباحث تسبقها مقدمة وتليها خاتمة ، وجاءت على النحو التالي:

المبحث الأول : لمحة تاريخية عن مدينة مرزق.

وتناولت فيه موقع مدينة مرزق الجغرافي وأهميته ولمحة تاريخية عن تسميتها ، وماهي الأسباب التي جعلت الناس يطلقون اسم مرزق على المدينة ؟

المبحث الثاني : نشاط مدينة مرزق في حركة التجارة الداخلية.

وتناولت فيه دور مدينة مرزق وكيف كانت حلقة وصل بين المدن والواحات الليبية عبر شبكة من طرق المواصلات ، وعبر هذه الطرق كان يتم اتصال الواحات مع بعضها بعضاً ، وكيف كانت مرزق تمثل سوقاً للبضائع وملتقى لتجار الواحات الداخلية؛ حيث كان تجار طرابلس وبعض المدن الليبية الأخرى ينقلون بضائعهم إلى أسواق مرزق، ويحضرون منها سلعا أخرى ، وتناولت ما هي أهم السلع المصدرة من ليبيا عبر مرزق عاصمة فزان إلى بلدان ما وراء الصحراء الكبرى ، وأهم السلع المستوردة من بلدان ما وراء الصحراء الكبرى إلى ليبيا عبر مرزق.

المبحث الثالث : أهم طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى.

وتناولت فيه أهم طرق القوافل الرئيسة التي تعبر ليبيا إلى ما وراء الصحراء الكبرى ذهاباً وإياباً ، مثل طريق (طرابلس - برنو) مرورا بمدينة مرزق والطريق الغربي (طرابلس - تمبكتو) مروراً بمدينة مرزق أيضا ، والطريق الشرقي (طرابلس - مصر) ، وطريق الحج، وقد كانت مدينة مرزق إحدى محطاته الرئيسة.

أما أهم المصادر التي أعتمد عليها الباحث في دراسته فهي متعددة، وتأتي في مقدمتها وثيقة تخص تجار فزان المعتبرين بسوق مرزق في العهد العثماني الثاني العام 1270 هجرية ، 1855 ميلادية ، وهي وثيقة غير منشورة من قبل، ولم توظف في أي بحث وهي من أرشيف قبيلة أولاد بن كابه في سبها بحي الجديد، والوثيقة الأصلية موجودة بحوزتهم، ووثيقة تاريخية عثمانية أخرى، وهذه

الوثيقة بخصوص تعيين وكيل للقنصلية البريطانية في مرزق 1843م ، وهذه الوثائق موجودة في ملاحق البحث، و كتاب رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر، دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي، وكتاب فريدريك هورنمان ، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1797 ، ترجمة : مصطفى محمد جودة، وكتاب عبدالقادر جامي، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ، ترجمة : محمد الأسطى ، وكتاب عماد الدين غانم، رحلة عبر أفريقيا، مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا، وكتاب بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة : الهادي أبو لقمة و محمد عزيز، وكتاب عمر عبدالرزاق النقر، الحج من غرب أفريقيا، وغيرها.

المبحث الأول : لمحة تاريخية عن مدينة مرزق:

أولا : موقع مرزق الجغرافي:

تقع مدينة مرزق في منخفض شبه مغلق على بعد 125كم تقريبا جنوب غرب مدينة سبها في الجنوب الغربي لليبيا، و يصلها بسبها طريق معبد بطول 180كم تقريبا، كما ترتبط بالقطرون جنوباً، وتمسه شرقا، و أوباري غربا بطرق حديثة معبدة، وتقع المدينة في منطقة سبخية ترتفع عن سطح البحر بحوالي 450 متراً يحدها من الجنوب بحر من الرمال (أدهان مرزق)، ومن الشمال صحراء صخرية (حمادة) ترتفع عنها 100 مترا تقريبا .

وقيل أيضا بأنها تقع في الحوض المسمى بحوض مرزق، ويمثل أحد الأودية الرئيسة الثلاثة التي تتوفر فيها المياه، و الحياة ، وهي وادي الشاطئ ووادي الآجال، وحوض مرزق، ويشتمل حوض مرزق على سلسلة من الأودية التي تتصل ببعضها بعضاً وتقع مدينة مرزق في المنطقة الوسطى من هذا الحوض، وفي غربه يقع وادي عتبة الذي يقع فيه عدد من القرى مثل : تساوه و أقار وغيرها .

أما في شرق الحوض، فتقع الشرقيات التي تضم مدن أم الأرانب، وزويلة، وفي الجنوب الشرقي من الحوض يوجد وادي حكمة الذي كان له دور رئيسي في طريق القوافل المؤدي بين مرزق، وبين حوض بحيرة تشاد جنوباً، ومدينة غات الليبية غرباً، وفي شمال مرزق تقع مدينة سبها، وواحة غدوة، وواحات البوانيس (الزيغن - سمنو - تمنهنت .)

ويعد غيرهارد رولفس من الرحالة البارزين الذين أهتموا بنشأة مدينة مرزق ، وأوضح أن المدينة تقع ما بين خطي طول 10 - 14 شرق جرينتش، وخطي عرض 52 - 25 شمالاً، ومن ارتفاع يبلغ طوله حوالي 1650 قدما عن سطح البحر ، وهو لا يختلف عن المصادر الأخرى كثيراً؛ ولذا وجب علينا أن نختبرها جميعا، وتختلف المصادر المستقاة في تحديدها لموقع مرزق عما نشرته الجمعية الأفريقية عام 1798م بحوالي درجتين، و سأستمر في عرض هذه المصادر.

. 1 من بيانات استقاها السيد بويفورد من أحد التجار في طرابلس تقول أن 17، 1/2 رحلة في خط عمودي إلى الجنوب تبدأ من مصراتة، و تنتهي في مرزق، و إذا افترضنا أن رحلة اليوم الواحدة حوالي 20 ميلا بريطانيا خلال ثماني ساعات، و لنقل 15 ميلاً جغرافياً، أتضح أن الطرق الصحراوية تغلب عليها الاستقامة؛ ولهذا سأفترض 16.5 ميلاً بدلاً من 15 ميلاً ، و بهذا يمكن لسبع عشرة رحلة و نصف أن تقع 3/4 288 ميلاً و نقل 289 ، و إذا افترضنا أن مصراتة تقع على خط عرض 32.10 فلابد إذن أن تقع مرزق على خط عرض 27.22.2 .

. 2إن الرحلة من طرابلس إلى مرزق تستغرق 23 يوما عن طريق غريان، و سوكنة مع العلم بأن المسافة ما بين طرابلس، و فزان عن طريق مصراتة 23.1/2 يوماً؛ أي أن المسافة عن طريق سوكنة أقصر إلا أنها لا تستخدم كثيراً نظراً لعدم توافر احتياطات الأمان بها، و بالتقاء خطين أحدهما من أوجلة يمتد 395ميلاً جغرافياً، و أخر من مصراتة وطوله 289 فإن هذا يحدد موقع مرزق على خط عرض 27.23، وعلى ثلاثين ميلاً شرق خط الزوال من مصراتة . ومن ثم فإن درجة الانحراف ستكون 1/2 درجة إلى جنوب الشرق بدلاً من الجنوب .

. 3إشارة الإدريسي بأن المسافة ما بين سرت، و زويلة هي تسع رحلات بافتراض أن الرحلة تسعة عشر ميلاً؛ أي إن المسافة هي 171 ميلاً جغرافياً، و لقد كانت زويلة في خط سير هورنمان تبعد حوالي ستين ميلاً جغرافياً إلى شمال شرق مرزق ، وتبعاً لما أورده السيد دانفيل فإن سرت تقع على خط عرض 30.28 ومن ثم فإن زويلة بافتراض إنها تقع على نفس خط الزوال . تقع على خط عرض 27.37 إلى شمال مرزق ، و تبين لنا فيما بعد أن زويلة تقع إلى الجنوب الغربي 6 درجات لابد أن تقع مرزق عند جنوب خط عرض 27.23 .

. 4علم ليدريارد أن أوجلة تقع غربي (سيوه)، و (ودان)، و (زلة) وتقع غرب الجنوب الغربي لأوجلة .

. 5 زلة و تسمى أيضا ودان، وتقع كما قال الإدريسي في منتصف الطريق بين أوجلة و زويلة؛ أي أنها تقع على بعد عشرة أيام من كل منهما، و على مسافة تسعة أيام جنوب شرق سرت .

إذ إن مرزق لابد وأن تكون في أسفل خط عرض 26 إذا أخذنا في الاعتبار موقعها النسبي من ودان، و زويلة .

وقيل أيضا بأن مرزق تقع في النصف الغربي لما تعرف (بمنطقة مرزق) وهي تقع على خط 14 شرقا و تحت خط 26 شمالاً واللذان يتقاطعان بالقرب منها من ناحية الشمال كما تقع الحافة الشمالية لما يعرف (بإدهان مرزق)، والممتدة حتى الحدود مع النيجر وتشاد في الجنوب وهي تقع إلى الغرب من مدينة تراغن، وإلى الجنوب الغربي من مدينة سبها؛ حيث تبعد حوالي 180كم حسب الطريق المعبد، والمسافة المقام عليها المدينة، وكذلك طريقة البناء تقدر مساحة المدينة بحوالي 150 .200هكتار تقريبًا، و هي في وضع مستطيل من الشرق إلى الغرب، ثم الاتجاه نحو الشمال أكثر منه نحو الجنوب والمدينة القديمة والتي كانت مكونة من قسمين القسم الذي حول القلعة و القسم الواقع شرقي منه والذي كان يفصلها (شارع حميدة)، و كان الى وقت قريب يمثل قلب المدينة الحيوي .

أما القسم الثاني : والذي كان يعد مركز المدينة فقد تم هجره مبكراً، و لم تبق منه إلا الأطلال المتمثلة في قلعتها الشهيرة، والمسجد العتيق به وبعض بقايا المساكن، ولقد رسم أحد الرحالة تخطيطاً لهذه المدينة منذ ما يقرب 118سنة خلت؛ أي في سنة (1301هـ. 1883م) ولكن هذه المدينة ابتعدت عنه قليلا

نحو الشرق، و الشمال، وتوسعت أكثر بكثير عنه اليوم وتغيير المباني، وطريقة البناء تغير جذرياً عن ذي قبل فلم تعد الأبواب السبعة والسور شبه البيضاوي .

والجديد بالذكر أن الاختلاف في تحديد موقع مرزق وهو حوالي 39 ميلاً جنوب شرقي موقعها في الخريطة المنشورة عام 1798 لا يؤثر على المسافات التي تفصلها عن تمبكتو

ومن الثابت وجود مخزون جيد وشبه سطحي من المياه الجوفية في المنطقة وتحيط بالمدينة القديمة أشجار النخيل والمزارع الصغيرة ضمن نطاق 3 إلى 4 كم فقط لعدم وجود وسائل النقل الآلية في القديم، و مناخ مرزق صحراوي قاري متطرف حار صيفاً وبارد جاف شتاء، و سكان مرزق عرب مسلمون رغم ما يعتقدون من تمازج أجناسهم قديماً بسبب الاختلاط الناجم عن حركة تجارة القوافل، واختلاف نظم الحكم والإدارة ، ولقد تزايد وتناقص عدد سكان مرزق على مختلف العصور، وكذلك تغيرت طبيعة أعمالهم فوفقا للإحصائيات الحديثة كان عدد سكان مدينة مرزق سنة 1970 م 3100 نسمة يقطن 1500 منهم بالمناطق الصخرية كتجار، وحرفيين، والباقون مزارعون منتشرون حول المدينة القديمة في حين إن عدد سكان المدينة الآن يقدر بإحدى عشرة ألف نسمة يسكن معظمهم الأحياء الحديثة، ويعملون بالأعمال المدنية .

ثانيا : لمحة تاريخية عن تسميتها:

مرزق اسم لمركز طريق القوافل وسوق لتبادلها عرفت بأنها عاصمة لمدن وواحات، وقرى الوادي المعروف بفزانيا، ومشتق من الرزق، و اسمها العربي مرزوقة؛ أي ترزق أهلها وغير أهلها من خلال تجمع الارزاق من كل مكان، وهي مدينة أسسها محمد بن المنتصر المراكشي في القرن الرابع عشر أو القرن الذي يليه، وباني قلعتها التي تعرف بقلعة مرزق وينتسب إليها لون من الفن الشعبي يعرف بالفن المرزقاوي، والاسم التاريخي لاسم مرزق .

وهذه التسمية تتوافق مع ما تتصف به مرزق فهي المدينة الرزاقة ليصدق معنى اشتقاق اسمها سواء على ألسنة أهلها أو في كتابات الرحالة الذين كتبوا عن مرزق : فهي ذات الحوض أو الوادي المنخفض الذي يختزن في جوفه أغزر الأرزاق: وأسرع الخيرات وذات الحفرة (حفرة مرزق) التي تتجمع فيها أعذب المياه المغمور بألين الرمال، والمحاطة بأوسع فضاء والمكتسبة لجبال طبيعية، المحتوية على الأسرار العجيبة، والعامرة فجوجها بالواحات، والقرى، والمدن العريقة المبنية على طول، وعرض أوديتها المنبسطة الفسيحة ذات البساتين، و الغابات النخلية الكثيفة المحفوفة بجانبها بسلسلة من الجبال العالية، والكثبان الرملية الأمر الذي جعلها تحتفظ بهواء نقي وجو صاف، وتربة خصيبة بين برودة شتاء، وحرارة صيف بين طيبة أهلها من ذوي الصبر واللين، والأيادي الأمينة والقلوب الحنونة تزدهر مرزق بذلك بالإضافة لتراثها وفنونها الشعبية، وتتجلى في حلية فواحة تكتسي مناظر جميلة .

وغدا أسمها يذكر على كل فم زينة، وتصدح بأروع غناء ولحنها الترنيمة، هذا ما يتحاكى به أهلها حول أصل أسمها، وبقى لنا المستند التاريخي سنتعرض لذكره في ذيل هذه الأسطر؛ فليس من وحي الصدفة أن تتشابه بيئة فزان مع بيئة أهل الجزيرة العربية، وخاصة بيئة أهل اليمن؛ إذ أن في فزان توجد ثلاثة وديان رئيسة هي: الوادي الغربي، ووادي الشاطئ، ووادي عتبة، وكذلك الحال في الجزيرة العربية باليمن يوجد ثلاثة وديان رئيسة هي: وادي الرمة، قرب شط العرب، ووادي حنيفة قرب الخليج العربي، ووادي بيسة في جنوب الحجاز، و كذلك تتشابه بسلسلة جبالها، واصفرار رمالها الناعمة الذهبية حول دارات، وأودية، وواحات نجد باليمن، و مدائن صالح ناهيك عن التشابه في عالم الأثار الجرمنتية بفزان، و ينسب الفزازنة الجرمنت من نسل بني قحطان وبني عدنان، وحتى المرازقة نسبهم النسابون من نسل جرهم، وجرم، وصنهاجة، وحمير ومرزوقة من بني قحطان بن يعرب بن طيء مرزق بن جزام بن لخم بن همدان بن عتبة بن مراد بن مذحج بن جديس بن ثمود بن عاد بن يعرب بن قحطان بن سام بن نوح عليه السلام .

والسؤال : لماذا سميت مرزق بهذا الاسم ؟ وهل لتجارة القوافل الصحراوية دور في ذلك ؟

تفيد كثير من المصادر التاريخية أن أصل اشتقاق اسم مدينة مرزق يرجع إلى اسم لإحدى البطون العربية من بني قحطان من عرب القدماء وهم المرازيق من عرب السد بالذات هاجروا في دفعتين حسبما تناقلته كتب النسابين، وأول من سكن هذا الوادي الذي كان يعرف بحفرة مرزق قديماً، و يظن بعض من المؤرخين أن أهل فزان عموماً، والذين منهم أهل مرزق أول من سكن ليبيا وعموما هذا الوادي الذي عرف ((بوادي فزان)) نسبة لطبيعة أرضه المتعددة المسالك والفجوج؛ أي إنه أسم مشتق من الفج أي الوادي وليس لجماعة بشرية كما يظن البعض ، وأما جواب الشطر الثاني من السؤال : هل لتجارة القوافل الصحراوية دور في ذلك الاسم ؟ ، فيعتقد الباحث أن مركز التجارة التي تزعمتها مرزق باعتبارها عاصمة فزان وبوابة ليبيا جنوب الصحراء كان له الدور البارز في ترسيخ اسم مرزق ، حتى ولو سلمنا بالسبب الأول وهو قبيلة المرازيق التي جاءت من اليمن، إلا أن التجارة عبر مرزق والتي جعلت من المدينة ممراً رئيساً للرزق، ويرزق أهل مرزق وكل واحات ومدن ليبيا في الجنوب والوسط أو الشمال وأخص بالذكر العاصمة طرابلس، ثم تنتقل البضائع منها وإليها عبر البحر الأبيض المتوسط إلى أوروبا وإلى الشرق، وأخص بالذكر بنغازي وكل المدن الشرقية، وتمتد إلى الإسكندرية في مص، ولبلدان أفريقيا جنوب الصحراء، وأخص بالذكر مملكة برنو وتمبكتو وغيرها كان له الدور الأكبر في شهرة المدينة باسم مرزق، وتجارة القوافل الصحراوية هي التي جعلت لمدينة مرزق أهمية سياسية واقتصادية كبيرة في فزان.

وهذا هو شأن أسماء بقية الواحات، والقرى والمدن في فزان كله، إما أن يكون نسبة لقبيلة سكنت هذا المكان أو ذاك، أو نسبة لاسم شخص من بطونها لاشتقاق أسم مدينة مرزق المشتق من بطون المرازيق والتي جاءت في وقت سابق من اليمن ؛ فليس غريبا بعد هذه اللمحة التاريخية عن أصل اسم مدينة مرزق التي يقترن اسمها بفن شعبي ، أو اشتهار المدينة أو الواحة بحرفة معينة كاشتهار مدينة مرزق بالتجارة والتي رسخت وعززت من اسمها كما يرى الباحث وجعل المدينة ممراً للرزق لتكون اسما على مسمى.

المبحث الثاني : نشاط مدينة مرزق في حركة التجارة الداخلية

تعد مدينة مرزق حلقة وصل بين المدن، و الواحات الليبية، وترتبط معها بشبكة من طرق المواصلات، وعبر هذه الطرق كان يتم الاتصال بين هذه الواحات مع بعضها بعضاً، وكانت مرزق تمثل سوقاً كبيراً للبضائع، وملتقى لتجار الواحات الداخلية حيث كان تجار طرابلس وبعض المدن الليبية الأخرى ينقلون بضائعهم إلى أسواق مرزق، و يحضرون منها سلعاً مختلفة الأنواع مثل: التمور، والألياف، ويعد التمر الغذاء الرئيس لسكان الواحات، وكان تجار بنغازي يحضرون بضائعهم إلى مرزق عبر واحات جالو، وينقلون ما يحتاجونه من مرزق، أما تجار غدامس و غات فكانوا على علاقة مستمرة عبر طرق القوافل الغربية الداخلية والخارجية، وكذلك أهالي سوكنة، والمناطق المحيطة بها مثل: ودان وهون على اتصال متواصل بمدينة مرزق منذ القدم .

ولقد كان التعامل التجاري منظماً وليس تعاملاً عشوائياً ، وإنما له قواعد للبيع والشراء، وهذا ما اتضح جلياً للباحث من خلال الوثيقة التي تحصل عليها وهي وثيقة مهمة توضح أن التعامل التجاري في مرزق وفزان بشكل عام يسير بشكل منتظم، وتوجد أعراف تجارية ؛ وربما قانون من الدولة العثمانية ينظم العمليات التجارية في إيالة طرابلس الغرب ، والوثيقة عبارة عن مجلس اجتماع حضره التجار المعتبرون آنذاك في فزان للتحقيق في أمر عملية مبايعة كانت بها غش من قبل تاجر يهودي الذي غش التاجر الهوني، وقد تم الفصل في هذه القضية، وتحقيق التجار في تلك السلعة المخالفة للمواصفات المطلوبة وشهد عليها بعض أعيان مرزق ورموزها، وتم توجيها إلى ولي الأمر آن ذاك حتى يتم محاسبة التاجر اليهودي المعروف ((مشاني الذمي)) ، والمقصود بالذمي من أهل الذمة، والذي باع مقاطع كتان تعرف بنوع (بولوحة)، وتم المكاشفة عليها فوجدت ليست على ما ذكر المشتري من مواصفات، والوثيقة مؤرخة في العام 1270 هجرية ، 1855 ميلادية ، وعليها أختام تجار فزان.

وقد خلق هذا الاتصال نوعاً من التكامل الاقتصادي بين أسواق الواحات الليبية وغيرها، وكان التبادل التجاري بين هذه الأسواق يتم بكل يسر وسهولة؛ لأن معظم تصريف البضائع وتسويقها كان يتم عن طريق المقايضة؛ فقد كان تجار طرابلس يحضرون معهم إلى مرزق ملابس، وأقمشة، وعطوراً و يقومون بمقايضتها بمنتجات مرزق، وفي مقدمتها التمر، وقد أدى هذا النوع من المعاملات التجارية إلى توفير حاجيات أهل مرزق، و كل المناطق المحيطة بها .

وتزويد سكان الواحات الأخرى بما يحتاجون إليه من سلع ضرورية، و أهمها التمر، والقمح، والشعير والأقمشة، والمنسوجات بجميع أنواعها ونتيجة لتصاعد حركة التجارة الداخلية في القرن التاسع عشر أتسع نشاط مدينة مرزق، ومعاملاتها التجارية مع أسواق السواحل الليبية، و الواحات الداخلية، واستفادت المدينة بالفعل من موقعها المهم، باعتبارها إحدى المراكز التجارية المهمة التي تفد إليها سلع بلاد السودان الأوسط و الغربي، و في مقدمتها الرقيق غير أن هذه التجارة البشعة اللاإنسانية بدأت في الاضمحلال منذ تحريمها دولياً، وقد سلطت وثيقة ضمن مجموعة خليفة الأحول الضوء على حركة تجارة الرقيق بين مرزق، و بنغازي خلال شهر أكتوبر 1849م ، وأفاد بما يلي :

أولا : بعض الإحصائيات حول عدد الرقيق المصدر من مدينة مرزق إلى مدينة بنغازي؛ حيث أفادت بأنه بلغ 95 عبداً خلال شهر أكتوبر 1849م وحده كما فهم منها أن أعداد الرقيق المصدر تختلف من شهر إلى أخر حسب العدد الوارد إلى مدينة مرزق نفسها من مناطق ما وراء الصحراء الكبرى .

ثانيا : أوضحت الوثيقة المعنية طريقة التعامل في إجراءات تجارة الرقيق مبينة أنه لابد من وجود كفيل لضمان دفع قيمة السلعة عند تسليمها، وتسويقها وضربت الوثيقة مثلا لذلك؛ حيث أوردت أن تاجراً من تجار المجابرة يدعى علي بن حويل توجه إلى بنغازي وبحوزته اثنين فقط من الرقيق بكفالة عبدالنبي المصري، وكان معروفاً أن الكفيل ملزم بدفع الثمن كاملا في حالة عدم التزام المكفول بسداد القيمة المتفق عليها .

ثالثا : إن المدة القصوى المتفق عليها لسداد قيمة تجار الرقيق لا تزيد عن ستة أشهر من تاريخ خروج القافلة من مرزق إلى الجهة المقصودة .

رابعا : أشارت الوثيقة إلى بعض جنسيات التجار المتورطين في تجارة الرقيق الصادر من مدينة مرزق في منتصف القرن التاسع عشر الميلادي؛ حيث أوردت أن هناك تاجراً من بغداد وواحد من مصر والبقية من ليبيا وغالبيتهم من بنغازي وأخص بالذكر منهم تجار قبيلة المجابرة الذين عرفوا بنشاطهم التجاري الواسع في مختلف مجالات التجارة في ليبيا .

وخلال العقود الستة الأولى من القرن التاسع عشر الميلادي ازدهرت مدينة مرزق تجارياً، وتوافد إليها التجار من كل حدب وصوب، وأصبح بها بعض العملاء التجاريين من جنسيات مختلفة من العرب و الأتراك، والأفارقة، والأوروبيين، وقد كان لبعض هؤلاء وكالات تجارية في مرزق تقوم بالإشراف على أعمالهم التجارية ومراقبة سلع العبور التي يتولون نقلها شمالاً وجنوباً وبالعكس .

ويروي الذين عاصروا ازدهار التجارة في مملكة برنو ومملكة وداي بأن سوق مدينة مرزق وشارع حميدة المهجورين اليوم كانا يعجان بقوافل التجارة والرقيق، وكانت الحركة فيها تشاهد ليلاً ونهاراً .

وكان يلاحظ في سوق مدينة مرزق الرجال والنساء يتعاملون بالبيع، و الشراء، وتشاهد أيضاً أعضاء مجلس إدارة مرزق، وبعض من الوجهاء من الضباط و الموظفين، ومعهم لفيف من التجار يتحدثون في بعض الأمور، وتشاهد الدلالين وهم يصيحون لبيع بضائعهم القادمة من السودان، و قد لعبت النساء دوراً بارزاً في ممارسة التجارة بيعاً وشراء.

وقد لاحظ ناختيجال أن سكان المزارع المحيطة بمرزق كانوا يفدون عليها منذ الصباح الباكر حاملين منتجاتهم المختلفة لتسويقها كما أنه منذ طلوع الفجر يشرع الجزارون في ذبح الجمال، والأغنام، و الماعز وتقوم النساء بتوفير الخبز للأهالي، ويصل الطوارق من الوادي الغربي، ويحضرون الفحم وتعد صناعته من اختصاصهم ، ويدخلون من الباب الغربي، ويكثر الإقبال على الفحم لقلة الأشجار في المنطقة، و يشتد الزحام في سوق مرزق بعد الظهر، وكانت الحوانيت بها بعض البضائع الأوروبية، وسلع الكماليات الموجودة في الأسواق الساحلية مثل: السجاير، و الدخان التركي والحلويات المستوردة من طرابلس وحتى من الأستانة .

كما وجدت في بعض المتاجر الجبنة الهولندية، و الأمواس، و المقصات، وأدوات الزينة النسائية و الملابس القطنية، والحديدية التي تستعمل في الحروب والسروج العربية وغيرها، وكانت التمور أكثر رواجاً في التعامل التجاري

غير أن الألبان و الزبدة كانت غالية الثمن لندرة الماشية في مدينة مرزق، وكذلك كان اقتناء زيت الزيتون المستجلب من مدينة بني وليد و مدينة غريان مرغوبا فيه جدا بالنسبة لأهالي المدينة .

وقد لاحظ أن معاملات البيع والشراء في مرزق أصبحت أكثر تعقيداً باستخدام الريال الفزاني ، و هو يعادل 15 قرشا تركيا فقيمته تساوي قيمة المحبوب الواحد، وقد شاركت النساء الرجال في مرزق في ممارسة التجارة، ومن الأشياء التي كانت تبيعها النساء القرويات في مرزق: الذرة في شكل حبوب أو دقيق ومحمصة والخضروات،مثل الفاصولياء، والبصل، والباميا، واللفت الأصفر، والفجل، وبذور الحنظل، والفلفل الأحمر السوداني، أو الفلفل الأسود من أوروبا، ويعد التمر أكثر الفواكه انتشارا، والبطيخ متوفر، وكانت تعرض أيضا بعض الكميات من التين، وبعض الرمان، والتفاح، والمشمش، والكمثرى والعنب، وتحضر بعض النساء اللاقبي إلى السوق بدون حرج ، كما يستخدمن الحنة لتلوين الأصابع وللأغراض الطبية أما بودرة أتيمون كانت تستخدم لكسوة أطراف الجنون .

وقد لاحظ ناختيجال المنتجات المذكورة جميعها أثناء زيارته لمرزق، ويبدو واضحاً أن هذه المنتجات كانت تسوق في مدينة مرزق، وتزرع كثير من البقوليات، والخضروات فيها، وفي المناطق المحيطة بها.

والسؤال : هل مدينة مرزق هي هبة تجارة القوافل الصحراوية والتي جعلت منها مدينة مزدهرة ومهمة ؟ وهل مدينة مرزق تملك بدائل أخرى لازدهارها ؟

وجوابا على هذا السؤال فإن الباحث يعتقد أن مدينة مرزق جاءت أهميتها بعد أن أصبحت أحد المحطات الرئيسة في تجارة القوافل التجارية في فزان، ومن ثم فالباحث يرى أن مرزق هي بالفعل هبة القوافل التجارية الصحراوية؛ فلولاها لما أصبحت للمدينة أهمية كبيرة في فزان، أما إذا كانت المدينة تملك بدائل أخرى ، فهناك بدائل أخرى وبالتحديد الزراعة فمدينة مرزق منطقة زراعية، وأهم مزروعاتها التمور المتنوعة والحبوب وغيرها، إلا إن ذلك لا يمكن أن يجعل من مدينة مرزق مدينة مهمة؛ فبدون الحركة التجارية فإن المدينة ستفقد أهميتها، ولن تستطيع تصدير التمور والحبوب وغيرها إلى خارج المدينة سواء شمالاً أم جنوباً ، بدليل أن المدينة فقدت أهميتها بالفعل في نهاية القرن التاسع عشر بعد أن ضعفت حركة القوافل التجارية عبرها ، ومحاربة تجارة الرقيق السلعة البارزة من بلدان أفريقيا جنوب الصحراء وأيضا بعد أن حولت فرنسا جزءاً من هذه القوافل عبر الجزائر بعد احتلالها سنة 1830م ، والجزء الأكبر من تجارة أفريقيا تحولت عبر الممرات المائية على المحيط الأطلسي باعتبار هذه الممرات آمنة وأقل خطورة من الطرق الصحراوية المعرضة للسطو والنهب من قطاع الطرق.

ويلخص الباحث أهم السلع المصدرة من ليبيا عبر مدينة مرزق لبلدان أفريقيا ما وراء الصحراء الكبرى وأيضا أهم السلع المستوردة من بلدان ما وراء الصحراء الكبرى إلى ليبيا عبر مدينة مرزق عاصمة فزان ، وهي كالتالي :

أ - السلع المصدرة لبلدان ما وراء الصحراء:

لقد تنوعت وتعددت السلع المصدرة إلى تلك البلدان، و لعل من أهمها الخيول، نظراً للطلب الكبير عليها هناك؛ لاستخدامها في جيوشهم ، بسبب كثرة حروبهم وصراعاتهم فيما بينهم؛ ولهذا كانت من أهم السلع المصدرة إلى تلك النواحي، فقد ذكر ليون أن سعر الحصان الواحد لا يقل عن خمس عشرة جارية ، و بالرغم من وجود الخيل ببرنو فإنهم يفضلون جياد طرابلس عليها ، كما أورد كلابرتون أن سعر الحصان الذكر حوالي مائة وعشرين دولاراً ، أما الإناث فنادراً ما كانت توجد بالأسواق لارتفاع أسعارها، نظراً لقيمتها في الإنجاب؛ ولأنها لا تحدث صهيلاً عند الاقتراب من الخيول الأخرى ، الأمر الذي جعلها تنفرد بهذه الخاصية عن الذكر .

كما يصدر إلى بلدان ما وراء الصحراء الكثير من مواد الزينة ، مثل الخرز بأصنافه المختلفة ، وقد ذكر ليون أهم أصنافه التي يزداد الطلب عليها هناك وهي المجدرة البيضاء، وأروانددو وكونت بالي، والخرز العادي، ومنجورة ، وحبة جديدة، وقطف ولكل منها أوصاف ومميزات معينة تختلف في أسعارها من صنف إلى آخر ، إضافة إلى المرجان وهو على هيئة قلادات ، إضافة إلى عقود النحاس، والخواتم الفضية والشرائط الذهبية، و اللؤلؤ ، وبعض أنواع العطور، و الإبر والمرايا، وخاصة ذات الإطارات النحاسية والمزخرفة منها .

إضافة إلى الخيول، ومواد الزينة هناك الأقمشة بمختلف أنواعها من الأقمشة الثقيلة البيضاء، و الملونة بألوان زاهية، كاللون الأحمر والأخضر التي يغلب عليها الذوق الأفريقي، وطابعات القطن المستخدمة في تطريز القطن، والموسليني، والنيل والحرير والخام ، وغيرها من الملابس والأقمشة ذات الطلب المرتفع في تلك البلدان .

ونظراً للتأثير الثقافي الإسلامي على بلدان ما وراء الصحراء، وانتشار اللغة العربية في تلك النواحي فقد زاد الطلب على الكتب وخاصة المصاحف، وكان أغلبها يأتي من مراكش وكذلك الورق؛ حيث اعتبر من السلع المصدرة إلى هناك؛ وخاصة ورق الكتابة العادي المستورد عن طريق طرابلس من فرنسا وإيطاليا، وبما أن السيوف كانت هي الأسلحة الرئيسة للطوارق والفولانيين وغيرهم من شعوب تلك البلدان فقد ارتفع الطلب عليها لدرجة كبيرة ، وكان يؤتى بها من مالطا عن طريق ميناء بنغازي ، ثم يعاد تصديرها إلى برنو وبلاد الهوسا، فتصنع لها الأحزمة و الأعمدة في كانو وبرنو، ثم يعاد تسويقها هناك إضافة إلى الأسلحة النارية مثل البنادق و الغدارات، إلا أن هذه كانت في نطاق ضيق و محدود؛ لصعوبة نقلها كذلك المصنوعات الحديدية الأخرى مثل الدروع والقدور، والأمواس، والسكاكين، والمقصات والمصنوعات النحاسية والفضة كمادة خام لأجل صك العملة منها في برنو، إضافة إلى بعض السلع الأوروبية الأخرى مثل: المبارد والمناشير وغيرها .

إلى جانب هذه السلع كانت هناك أيضا بعض السلع الأخرى غير الأوروبية مثل الشيلان، والبرانس الحمراء والسراويل يؤتى بها من تونس، عن طريق طرابلس، والسجاجيد بمختلف أنواعها من طرابلس ومصراتة، وغريان، إضافة إلى بلح فزان؛ أي تمور فزان المتنوعة والتي اشتهرت بها مرزق خاصة وواحات مدن فزان بشكل عام والتبغ ، كما لا ننسى أهم سلعة عند أهالي تلك البلدان وهي الملح الذي تنقله قوافل فزان إلى برنو أثناء ذهابها إلى هناك من تاوديني و بلما ، على شكل صخور، ثم الحفر عليها واستخراجها في قوالب كبيرة يحمل منها الجمل قالبين كل قالب على جانب ويقايضونه بالذهب ؛ لأن الملح يكاد ينعدم في البلاد الأفريقية جنوب الصحراء ، زيادة على بعض المصنوعات الجلدية الخفيفة .

ب . السلع المستوردة من بلدان ما وراء الصحراء :

1 .تجارة الرقيق :

تنحصر تجارة في أفريقيا في العصر الحديث فيما بين منتصف القرن الخامس عشر، ومنتصف أو نهاية القرن التاسع عشر؛ أي أنها استمرت قرابة أربعة قرون متتالية ، وتعد من أسوأ القرون التي مر بها التاريخ الإنساني في أفريقيا بكاملها، هذه التجارة بدأتها أوروبا بشكل خاص، والبرتغاليون بشكل أقصى، مع بداية حركة الكشوف الجغرافية على السواحل الغربية لأفريقيا، ثم حذت حذوها فيما بعد باقي الدول الأوروبية الأخرى مثل إنجلترا وفرنسا وغيرهم من الذين تنصلوا من مسؤولية هذه الأعمال، ونظرا لأن الحديث عن منشأ هذه التجارة وممارستها طوال هذه القرون يبعدنا عن موضوعنا فسوف أقتصر على الحديث عنها فيما يخص ليبيا وبلدان ما وراء الصحراء فقط.

لقد شهدت هذه التجارة ما بين ليبيا وبلدان ما وراء الصحراء أوج ازدهارها في النصف الأول من القرن التاسع عشر، مقارنة بالقرون الأربعة الماضية نتيجة لطلب السوق الشمالي الواسع ، وحاجة السوق العالمية كانت أقوى، وأوسع ، وبالذات مصر، وتركيا و خاصة أزمير و اليونان وغيرهما؛ ولذا نجد هذه السلعة من أهم السلع الرئيسة في تجارة القوافل في تلك الفترة نتيجة للأرباح الهائلة التي تدرها لخزانة الباشا؛ حيث كان العبد الواحد يدر ربحاً صافياً لا يقل عن 500% من جملة تكاليف ما أنفق عليه، وقد كان أكثر الرقيق من بلاد الهوسا، نظراً لما يمتاز به الرجال من خبرات وملامح وذكاء في حين امتازت الإناث بحسن المظهر و الرشاقة عن غيرهن من نساء بلدان ما وراء الصحراء الأخرى ، زيادة على الرقيق البرنوي؛ حيث تعد برنو أكبر مستودع لتجارة الرقيق، وخاصة الإناث منهن؛ حيث بلغ سعر الفتاة الجميلة حوالي 35 دولاراً ، والذكر 15دولارا ، في حين كان يباع بأكثر من 150 دولاراً في أسواق الشمال .

وتتم عمليات جلب الرقيق من تلك البلدان إما بالشراء أو المقايضة مباشرة في الأسواق، أو عن طريق حملات صيد العبيد ((يعرف صيادو العبيد بفزان باسم الفزازنة)) كالتي كان يقوم بها محمد المكني على المناطق الشمالية لبلدان ما وراء الصحراء ككانم ؛ فقد كانت هذه العمليات تتم في سرية كاملة، و في أوقات متأخرة من الليل؛ حيث يتم محاصرة القرى أو القرية المقصود الإغارة عليها الأمر الذي لا يدع مجالاً لهرب أي شخص منها فتجري عمليات الفرز لاختيار الشباب، والفتيات المؤهلين للبيع بأسعار مجزية بطرابلس، و بنغازي ، أما الباقون فيتم القضاء عليهم قتلاً .

أما عمليات الشراء أو المقايضة في الأسواق فكانت علنية ومباشرة تجري في ساحات مخصصة لهذا الغرض داخل الأسواق ، منها ما هو للذكور و منها ما هو للإناث؛ حيث تتم عمليات المعاينة والفرز في الأسواق ، من حيث العمر، و الضعف، و البدانة و الجمال، و القبح ، إضافة إلى بعض المميزات الخاصة بالباشاوات التي ذكرها ليون مثل إجادة التدليك البدني ، وبعد أن يتم فحص حالتهم الصحية و قوتهم البدنية يقوم التاجر بتحديد سعر كل واحد منهم داخل السوق ، وتتم عمليات الشراء كلها على هذا الأساس كما كان من الأمور المعتادة لدى تجار الرقيق الطرابلسيين أن يقوموا بإقناع أحد الأرقاء ليغري زملاءه بالرحيل زاعما لهم أنهم بمجرد وصولهم إلى طرابلس سوف يطلق سراحهم ، ويرتدون الملابس الحمراء التي يشغفون بلبسها ، وحين يستسلمون لهذه الإغراءات يجلبون صحبة القوافل العائدة من هناك مكبلين من أرجلهم ورقابهم في حين تترك الإناث بدون تكبيل ، لعدم الخوف من محاولتهن الهرب .

2.ريش النعام :

يعد ريش النعام ثاني أهم السلع التجارية المتبادلة في ليبيا وبلدان ما وراء الصحراء، وعلى الرغم من وجود هذا الطير في فترات سابقة بالدواخل الليبية في بداية القرن الثامن عشر ، وخاصة في سوكنة وودان و غات ، فإنه انقرض من تلك النواحي، ولا أجد تفسيراً واضحاً لذكر ليون لهذا الطائر في ودان و هون، و سوكنة، و غريان ربما يرجع إلى عمليات المطاردة من قبل السكان، أو غيرها من الأسباب التي ساعدت على انقراض هذا الطائر من تلك النواحي وبزيادة الطلب عليه في الأسواق الأوروبية ((لقد كان لنزوات الموضة وأهوائها لدى الطبقات الراقية دور كبير في زيادة الطلب عليه من قبيل الرفاهية و الزينة))؛حيث تولت القوافل التجارية عبر الصحراء إحضاره من بلدان ما وراء الصحراء، الأمر الذي أدى إلى ازدهار تجارته، وزيادة النشاط الحيوي لتجارة القوافل بدخول هذه السلعة من ضمن متطلبات السوق الشمالية .

3.الذهب :

يأتي الذهب في المرتبة الثالثة من حيث الأهمية في سلع بلدان ما وراء الصحراء؛ حيث يتم جلبه من هناك، وخاصة بلاد الهوسا و برنو، وعلى هيئة ما يسمى بتراب الذهب ((التبر)) أو حلقات أو قضبان صغيرة يساوي المثقال منه دولارا ونصف، متجها نحو أسواق الواحات الليبية مثل مرزق وغدامس غير أن التجارة فيه ، في الفترة موضوع الدراسة كانت تتم في حذر تام ، نظرا للقيود التي يضعها كبار تجار البلاد في طريق تجارته بالرغم من قلتها كأن يتم البيع للباشا شخصيا، و بأسعار محددة، أو بأجل غير محدد و غير ذلك من العراقيل التي أسهمت في تعثر هذا النوع من التجارة .

وبسبب هذه الإجراءات الحكومية المشددة حيال هذه التجارة التي عرقلت حركته عبر ميناء طرابلس فقد وجد له منافذ أخرى غير هذا الميناء وغيره من موانئ ليبيا كميناء الإسكندرية، عن طريق تجار أوجلة الذين أخذوا يقومون بتصديره إلى القاهرة، ومنها إلى الإسكندرية؛ حيث يجد طريقه من هناك إلى البندقية و ليفورنو، عن طريق التجار اليهود، وخاصة الإيطاليين الذين سيطروا على هذه التجارة برؤوس أموالهم الكبيرة و علاقاتهم الطيبة مع الباشاوات .

إضافة إلى السلع الرئيسة السابق ذكرها فهناك أيضا الكثير من السلع السودانية التي كان لها دور مهم في تجارة القوافل ، مثل الجلود التي زاد الطلب الأوروبي عليها، وعلى الرغم من عدم مقدرة ما ينتج منها محليا على الإيفاء بمتطلبات السوق الأوروبية فإنه كان من أهم السلع الصحراوية القادرة على مقاومة التلف؛ حيث يتم الاحتفاظ بها كمادة خام عن طريق رش الملح عليه بعد نزعه من على الحيوان مباشرة ، ومن ثم يحمل على هيئة لفات كبيرة تزن الواحدة منها ما بين 40.50 كغ ، ليتم تصنيفها حين وصولها للموانئ الشمالية وشحنها إلى أسواق أوروبا عن طريق تلك الموانئ .

كذلك هناك العاج أو سن الفيل التي كانت من السلع التي وجدت طريقها إلى أسواق الشمال، إلا أنها لم ترق إلى مستوى السلع السابقة في الأهمية التجارية

،ولهذا لم يكن لها رواج كبير في النصف الأول من القرن التاسع عشر، وهو نوعان القادم من برنو و يعرف بالبرناوي، و الثاني السوداني والنوع الأول أكثر قيمة وبياضا، و أسهل تصنيعاً ، أما النوع الثاني فهو صلب و أقل بياضاً من البرناوي، ويستعمل العاج بصفة عامة في صناعة التماثيل، والملاعق، و مقابض السكاكين، وغير ذلك من الاستعمالات الأخرى التي جعلت منه سلعة كمالية لدى مستهلكيه وهم سكان أوروبا عامة .

المبحث الثالث : أهم طرق القوافل التجارية العابرة للصحراء الكبرى:

لقد استطاعت ليبيا بحكم موقعها الجغرافي الممتاز وعلاقاتها الحضارية المتواصلة ببلاد ما وراء الصحراء الكبرى أن تتحكم بتجارة القوافل عبر الصحراء، وأن تنقل مظاهر الحضارة العربية الإسلامية إلى تلك البقاع ، وقد ساعد ليبيا في ذلك عدد من المميزات الفريدة منها :

أولا / تفرغت منها شبكات لطرق القوافل التجارية التي ظلت تربطها بالصحراء الكبرى، وبلاد السودان الأوسط والغربي ردحاً من الزمن وكانت مراكزها التجارية في الجنوب مثل : مرزق حلقة وصل مهمة في دعم هذا التواصل المتصاعد كما أصبحت نقطة انطلاق للرحالة الأوروبيين نحو دواخل القارة الأفريقية .

ثانيا / لقد لعب الساحل الليبي الطويل الممتد بطول 1900كيلومترا من حدود تونس غرباً إلى الحدود المصرية شرقا وموانئه الصالحة للملاحة طوال العام دوراً مهما ليس في تجارة ليبيا الداخلية فحسب ، بل في التجارة الدولية أيضا .

ثالثا / ساعدت واحات فزان المنتشرة ومنها مرزق وكذلك الواحات الليبية الأخرى مثل : أوجلة و زويلة وسوكنة، و الكفرة في ازدهار طرق القوافل التجارية الخارجية بين المناطق الليبية وبين بلاد ما وراء الصحراء الكبرى ، فضلاً عن مصر والسودان الشرقي وأقطار الشمال الأفريقي .

رابعا / تمتعت مدينة طرابلس باستراتيجية اقتصادية مهمة أصبحت بموجبها أكبر سوق للتعامل التجاري مع أوروبا استيراداً.وتصديراً، وتوزيعاً كما أصبحت المراكز التجارية في الواحات الليبية كمدينة مرزق محطات تجميع وتوزيع للقوافل التجارية وملتقى لتبادل البضائع، والإشعاع الحضاري على بلاد السودان .

وقد أدت طرق القوافل التجارية إلى الاحتكاك المباشر بين سكان فزان بالذات، وبين شعوب بلاد السودان الأوسط و الغربي عن طريق التجارة وترتب على ذلك تداخل اللهجات واللغات، والعادات، والتقاليد نتيجة لهذه المستجدات ، إن الذي تحقق عن طريق القوافل التجارية عبر الصحراء من وحدة في التفكير وانسجام في التعاون وتبادل المنفعة كان أكثر فعالية عما تحقق عن طريق السياسة .

لتناول أهمية طرق القوافل التجارية التي تربط مرزق على سبيل المثال بمناطق ما وراء الصحراء الكبرى لابد أن نبرز عنصرين مهمين :

أولا / أهمية العامل الاقتصادي والعنصر البشري في دعم أواصر العلاقات بين المنطقتين؛ أي ليبيا وبلاد السودان الأوسط و الغربي .

ثانيا / ضرورة معرفة الدور الذي قامت به مدينة مرزق في تجارة العبور الصحراوية دعماً للروابط التاريخية، والاقتصادية مع المناطق الصحراوية وما ورائها .

والسؤال : ما هي أهم الطرق التجارية العابرة لليبيا إلى ما وراء الصحراء الكبرى ذهابا وإيابا ؟

والجواب : ان أهم طرق القوافل الرئيسية التي تعبر ليبيا إلى ما وراء الصحراء الكبرى ذهابا وإيابا هي كالتالي :

أ . طريق طرابلس برنو :

يبدأ هذا الطريق من طرابلس إلى مرزق عبر سبها متجها إلى برنو، ويعد من أسهل الطرق التي تعبر الصحراء؛ وذلك من حيث وفرة المياه والأمن وكان يسمى طريق الجرمنت، وكان هذا الطريق يتفرع إلى فرعين :

فرع إلى بلما، وأقاديز وماو وكوكا عاصمة برنو والفرع الآخر إلى مدينة أبشا الواقعة في شرق واداي علما بأن هذا الطريق سلكة فوجل في رحلته عام 1854م وكذلك بارت عام 1855م ، وبويرمان عام 1862م ورولفس عام 1866م ، و ناختيجال عام 1870م .

وخلال القرن التاسع عشر فإن هذا الطريق كان مطروقا وأكثر أمانا من غيره ، وخاصة في فترة ازدهار إقليم كانم برنو ، غير أنه مع بداية الأربعينيات من القرن التاسع عشر ضعفت أهمية هذا الطريق بسبب المشاكل السياسية، و بالذات في الفترة التي حدثت فيها صراعات في منطقة تشاد، وخلال صراعات أولاد سليمان مع العثمانيين، وسيطرتهم على طرق القوافل .

و الجدير بالذكر أن ليك أهتم في دراسة عام 1885م بوصف طريق طرابلس برنو غير أنه توسع في وصف هذا الطريق وتفرعاته بداية من منطقة القطرون .

و في هذا الصدد يمكن القول أن منطقة العرق الكبير تبعد بضعة أيام من القطرون، أما منطقة بخي فإنها تبعد عن القطرون مسيرة يوم ونصف على حد قوله، وبعدها تأتي قرى مدروسة، وتجرهي، وقصر الروي ، وهي قرية واقعة على الطريق المؤدي إلى جبال تومو التي يتفرع منها طريق شرقي نحو تبيستي غير أن طريق (طرابلس ، برنو) الرئيسة يستمر جنوب جبال تومو، وسهل ماديما إلى واحة يأت وهي من أهم محطات هذا الطريق لوفرة المياه و اتساع الغطاء النباتي، ويسميها العرب باسم (بهيجة . (

ومن واحة (يأت) تسير القوافل التجارية مسيرة يومين لتصل إلى واحة (يجبا) بعدها إلى واحة (كوار) التي تمثل تقريبا نصف المسافة ما بين مرزق و برنو .

ويقول فرنشيسكو كورو أن القوافل التجارية التي تأخذ طريق طرابلس برنو المار بمدينة مرزق عادة ما تستغرق رحلتها ذهاباً و مثلها إيابا؛ أي حوالي ستة أشهر ، ويؤكد أن هذا الطريق تتخلله مناطق تتوفر فيها المياه، و التمور التي تعد غذاء رئيساً لرجال القوافل ، كما يذكر أن سهولة هذا الطريق أدت إلى ازدهار التجارة بين برنو وطرابلس التي تعتمد في تجارة العاج على منطقة برنو حتى انهيار هذا النوع من التجارة في أعقاب غزو رابح الزبير لبرنو ما بين عامي : 1892م.1893م .

ويشير عبد اللطيف حميدة إلى أن طريق (طرابلس ـ برنو) يعد من أهم أربعة طرق قوافل تجارية في الشمال الأفريقي خلال القرن التاسع عشر الميلادي ، وهو طريق يمر على طرابلس إلى سوكنة فمرزق، ثم برنو في حوض بحيرة تشاد .

واكتسب طريق طرابلس . برنو شهرة لدي أهالي مدينة مرزق؛ لأنه أصبح يمس حياتهم الاقتصادية مساً مباشراً، وقد ضرب المثل بقوة العلاقات

الاقتصادية بين أهالي مدينة مرزق وبرنو، و يورد الراوي حميد الدسوقي مثلاً شائعاً في مرزق يقول فيه (بطلت من كاوار ماشي لبرنو لو لعيالي يرقدو ويتهنو)، وبطلت من واداي ما شي لبرنو قولو لعيالي يرقدو و يتهنو، وتدل هذه الأمثال الشائعة أن تجارة القوافل أصبحت تميل تجاه الجنوب الغربي إلى مملكة البرنو أكثر منها نحو الطرق المؤدية إلى مملكة وداي شرقا.

ب . طريق الغربي (طرابلس . تمبكتو : (

ويصف يحي بوعزيز طريق طرابلس . تمبكتو بأنه يمتد من طرابلس على سيناون، و غدامس، ثم يدخل الأراضي الجزائرية عند تماسين والبيوض؛ حيث يلتقي بطريق مدينة قسنطينة الجزائرية المؤدية إلى تمبكتو بدولة مالي الحالية كما يشير إلى وجود فرع أخر لهذا الطريق يبدأ من مدينة غدامس مروراً بمدينة غات وبير عسيو وأغادس بدولة النيجر، ثم يتجه غربا إلى سوكوتو وكاتسنة ببلاد الهوسا ومنها إلى أقاديم و ماو في تشاد شرقا

ويذكر أن الطريق المؤدي من مدينة غدامس إلى مدينة تمبكتو بشمال مالي من أكثر طرق القوافل التجارية نشاطا و ازدهارا ، وهذا الطريق يمر بمنطقة كثبان رملية في جنوب الجزائر، و يصل إلى ورقلة ووادي سوف، وطريق جنوبي غربي يمر عبر البيوض نحو عين صالح، وواحات توات المهمة، ويستمر من هناك باتجاه مدينة تمبكتو، وطريق جنوبي شرقي يسير مباشرة نحو تمبكتو عبر تماسين أمغيد . إديلس . و طريق جنوبي عبر مدينة غات و بلاد الأير أو مرتفعات الاسبن، و أغادس نحو زندر بالنيجر و كانو وسوكوتو بنيجيريا .

ومدينة مرزق كانت مرتبطة بالطريق الذي يربط مدينة غدامس الليبية بكانو في نيجيريا، وكذلك بطريق مدينة غات ثم الجزائر ثم النيجر ، كما أن طريق(غدامس . كانو) يبدأ من مدينة طرابلس، ثم فساطو وسيناون، ثم غدامس، ثم أغادس، ثم زندر بالنيجر حتى يصل كانو بنيجيريا .

ج . الطريق الشرقي (طرابلس . مصر : (

وهذا الطريق الساحلي يتجه شرقا من مدينة طرابلس إلى مدينة بنغازي ثم يميل باتجاه مدينة الجغبوب الليبية، ومنها إلى الواحات المصرية وهي سيوة و الفرافرة، والأقصر بصحراء مصر الغربية ويتصل هذا الطريق بعدة طرق متفرعة من المراكز الساحلية العامرة مثل:سرت، و بنغازي، و درنة، و القصر الجديد .

وهناك طريق تجارية تنطلق من مدينة مرزق تجاه مصر مارا بقرى إقليم فزان حميرة ، تمسه ، زويلة ، ثم سيوة المصرية، ويستمر داخل مصر.

د . طريق الحج :

كانت مدينة مرزق إحدى المحطات الرئيسة الواقعة على طريق الحج الوافدة من بلاد السودان عبر الصحراء الغربية، و قد برزت أهمية طرق الحج منذ العصر الوسيط الذي شهد ميلاد الممالك الإسلامية مثل: مالي وسنغالي، و كانم، و برنو، و غيرها، وفي هذا الصدد يشير عمر النقر إلى أنه منذ القرن الثاني عشر الميلادي كانت هناك رحلات حجيج جماعية منتظمة تنطلق من فزان قاصدة الأراضي المقدسة، وأنه حسب رواية أبي حامد الأندلسي أن أهل مرزق كانوا مسلمين منذ وقت مبكر يصلون، و يصومون ،و يحجون ، كما أن مرزق كانت ملتقى لقوافل الحج الجماعي التي ازدادت كثرة بانتشار الإسلام في الممالك السودانية ، و أن طرق الحج الوافدة من بلاد السودان كانت تعبر من الغرب إلى الشرق وبالعكس منطلقة في اتجاه وادي النيل مروراً بمصر، و السودان الشرقي في طريق الذهاب و الإياب، وفي فترة القرن التاسع عشر برزت أهمية أربع طرق سلكها الحجيج ، وهي :

1. طريق من بلاد الهوسا من مدن كانو كاتيسنا مروراً بالأير فزان؛ ثم أوجلة حتى القاهرة .

2. وطريق من عاصمة البرنو يسير شمالاً عبر واحة بلما، ويلتقي مع الطريق الأول في فزان .

3. والطريق الثالث يقع شرقي الطريقين المذكورين ويربط عاصمة واداي دوارا ، ويلتقي بالطرق الأخرى في فزان، و بعد عام 1837م اتجه هذا الطريق رأسا إلى الكفرة وإلى برقة .

4. والطريق الرابع هو درب الأربعين و الذي يربط الفاشر عاصمة سلاطين دارفور، وهو يعبر الصحراء شمالا حتى واحة سليمة و الخارجة إلى أسيوط في مصر العليا .

وقد لعبت مدينة مرزق دوراً مهماً بالنسبة للطريق الشمالي الشرقي وهو إحدى طرق الحج و المعروف باسم طريق توات ، و الذي كان يمر بمدينة غات و مدينة مرزق، ثم يتصل بشبكة طرق الصحراء الغربية عند أوجلة ومنها إلى دلتا مصر، و كانت قوافل الحجيج الوافدة عبر هذه الطرق تتجمع في دلتا مصر وفي مراكز معروفة مثل قرية كرداسة غربي القاهرة .

وكذلك في مدينتي الفيوم و البحيرة المصرية وكان الرحالة هورنمان قد أنطلق من قرية كرداسة المصرية رفقة إحدى قوافل الحجيج العائدة من الحجاز؛ و ذلك أثناء رحلته من القاهرة إلى مرزق عام 1797م .

تعود أهمية طرق الحج إلى أنها كانت مقرونة بأداء فريضة الحج، وتنشيط المعاملات التجارية التي تمكن الحجاج من تغطية نفقات الحج إلى جانب تحسين أوضاعهم الاقتصادية ، فكانت قوافل الحجيج الوافدة من المغرب العربي و المناطق الصحراوية ومن مكة و إليها تحمل معها كميات كبيرة من سلع العبور التي يمر بعضها عن طريق مدينة مرزق عند عودتها إلى بلادها .

الخاتمة :

وفي ختام هذه الدراسة يمكننا أن نستخلص مجموعة من النتائج ، هذا موجز مركز لأهم نتائجها المستوفاة:

- 1أثبتت الدراسة أن موقع مدينة مرزق الجغرافي وتوسطها الصحراء الليبية جعل منها ذات أهمية تجارية واقتصادية وسياسية، بالإضافة إلى غزارة المياه العذبة بها وخصوبة تربتها زاد من أهميتها وتتمتع مدينة مرزق بموقع استراتيجي تلتقي عنده شبكة من طرق القوافل التجارية الرئيسة والفرعية صارت مركزاً تجارياً مهماً، وكان انتقال أولاد امحمد إليها والتي جعلوها عاصمة لإقليم فزان زاد من دعمها وتطويرها وازدهارها لتصبح سوقاً محلياً ودولياً.

- 2لوحظ أن اسم مرزق نفسه جاء نسبة إلى بطن من بطون قبيلة هاجرت من اليمن تسمى المرازيق ومن ثم سميت المدينة مرزق ، والباحث وإن سلم بهذه المعلومة إلا انه يؤيد فكرة أن مرزق مشتق من كلمة (مرزوق) المرتبطة بالاسترزاق ؛ وأيضا مركزها المهم في تجارة القوافل بين الشمال والجنوب لعب دوراً في تسميتها مرزق، وتعبيرا على أن المدينة هي ممر للرزق ترزق أهلها، وكل

المناطق المحيطة بها في فزان، وتعبر منها الأرزاق شمالا وشرقا وجنوبا حتى أن هناك مثلا يقول: ((لولا التجارة لما كانت مرزق. ((

- 3لاحظت الدراسة أن نشاط مرزق الاقتصادي كان بارزاً في التجارة الداخلية بفضل شبكة الطرق الداخلية التي ربطتها بالواحات والمدن الليبية الداخلية وبغيرها من المدن والمراكز الساحلية ، وقد خلق هذا الاتصال نوعاً من التكامل الاقتصادي بين مرزق وأسواق الواحات والمراكز التجارية والمدن الليبية وبينت الدراسة أن هناك تعامل تجاري منظم في مرزق ، والبيع والشراء لايتم عشوائيا كما يظن البعض بل هناك قوانين قد تكون الدولة العثمانية وضعتها في كل إيالة طرابلس الغرب، وهذا ما وضحه الباحث من خلال وثائقه في البحث.

- 4لاحظت الدراسة إلى أن طرق القوافل التجارية الرئيسة التي كانت تربط مرزق بالمناطق الصحراوية وبلاد السودان الأوسط والغربي قد أهلتها للمشاركة في النشاط التجاري المزدهر في أسواق تلك النواحي خلال القرن التاسع عشر، وقد قام الباحث بوضع خريطة في ملاحق البحث توضح شبكة وطرق القوافل الصحراوية التي تمر عبر ليبيا ومعظمها عبر مرزق متجهة شمالاً وشرقاً وجنوباً.

- 5أثبتت الدراسة أن تجارة العبور الصحراوية هي من جعلت لمدينة مرزق أهمية اقليمية ودولية ووضحت الدراسة أهم طرق القوافل التجارية الصحراوية التي تتشعب في ليبيا في الصحراء الكبرى ويمر معظمها عبر مدينة مرزق عاصمة فزان ، وبعد ضعف تجارة القوافل التجارية التي تمر عبر مرزق نتيجة لتحويل الطرق التجارية عبر الممرات المائية عبر المحيط الأطلسي؛ لأنها أكثر سلامة وآمانا بعد سيطرة فرنسا على عدد من الدول الأفريقية جنوب الصحراء الكبرى مثل؛ تشاد والنيجر وحتى احتلالها للجزائر زاد من ضعف حركة القوافل الصحراوية؛ فقد تحول جزء من هذه القوافل عبر الجزائر بدل ليبيا ومن ثم فقدت المدينة أهميتها في نهاية القرن التاسع عشر.

التوصيات:

يوصي الباحث بمناسبة انعقاد هذا المؤتمر التاريخي الأول لكلية الآداب - جامعة سبها ، والذي نظمه وأشرف عليه قسم التاريخ بكلية الآداب ، والذي كان يحمل عنوان : (فزان في التاريخ) ، والذي أعده مؤتمراً ناجحاً، واستطاع التغلب على كل العراقيل والصعوبات في ظل ظروف انتشار جائحة كورونا في العالم ، فتوصيتي أن يتبع هذا المؤتمر مؤتمرات أخرى ثانية وثالثة ورابعة ... الخ ؛ لأن فزان تستحق ذلك؛ فتاريخ فزان لايزال معظمه مختفي تحت الأرض من آثار طمرتها الرمال، أو مخطوطات ووثائق يحتفظ بها سكان فزان في خزائنهم بالبيوت ومن ثم على جامعة سبها ؛ وقسم التاريخ خصوصا أن يكثف الجهود لإخراج هذه الكنوز من مخابئها وخصوصا تاريخ مدينة مرزق والتي كانت عاصمة فزان لعدة عقود من الزمان ، وتعريف العالم بما تحويه فزان من حضارة عريقة تمتد جذورها في أعماق التاريخ القديم، والوسيط، والإسلامي، والحديث والمعاصر؛ فالمهمة صحيح صعبة ولكن جامعة سبها وأساتذة التاريخ فيها قادرون على النجاح في هذه المهمة ؛ فجامعة سبها هي الجامعة العلمية العريقة في فزان، ونحن نعول عليها الكثير والكثير من النجاحات العلمية ، وباستطاعتها لعب هذا الدور بكل جدارة واقتدار في المستقبل القريب لإبراز تاريخ وحضارة فزان عربيا، وأفريقيا، وعالميا.

الهوامش

[11] وثيقة عثمانية وهي رسالة من مدير (والي) إيالة طرابلس الغرب محمد أمين باشا إلى مدراء المناطق بخصوص رحلة قاقليوفي لتولي مهام الوكالة للقنصلية البريطانية في مرزق ، الوثيقة مؤرخة في 23 ذي الحجة عام 1258 هجرية ؛ الموافق : 23 يناير 1843 ميلادية ، وهي وثيقة تحمل رقم 111، ملف العهد العثماني الثاني ، إيالة طرابلس الغرب ، شعبة الوثائق والمخطوطات ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، أنظر للوثيقة في ملحق رقم (2) .

[1] علي أبو القاسم أبو قيلة ، عمارة مدينة القديمة الصحراوية ، مطابع الثورة العربية ، طرابلس ، 1990م ، ص11 .

[1] رجب نصير الأبيض ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ؛ دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1998م ، ص55 .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] فريدريك هورنمان ، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1797 ، ترجمة مصطفى محمد جودة ، دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، 1993م ، ص146 .

[1] المرجع نفسه ، ص 147 .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] المرجع السابق نفسه ، ص147 ، 148 .

[1] الأمين محمد الماعزي ، سكان فزان ، دراسة وصفية قديما وحديثا ، المطبعة الفنية الحديثة ، مصر، 2003م ، ص 368 .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ..

[1] فريدريك هورنمان ، المرجع السابق ، ص148 .

[1] علي أبو القاسم أبو قيلة، المرجع السابق ، ص 11 - 12 .

[1] عبدالسلام محمد نوح ، اعرف بعض الأشياء عن مرزق ، مطابع الثورة العربية ، طرابلس -ليبيا ، 1984م ، ص9 .

[1] منصور محمد البابور ، مرزق التحضر والقاعدة الاقتصادية، ط2 ، بنغازي ، 1995م ، ص 22- 23 .

[1] المرجع نفسه ، ص 23 - 24 .

[1] عبدالسلام محمد نوح ، مرجع سابق ، ص 35 .

[1] الباحث .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] رجب نصير الأبيض ، مرجع سابق ، ص 173 .

[1] وثيقة خاصة تحصل عليها الباحث من ارشيف قبيلة أولاد بن كابه الموجودين في سبها ؛ حي الجديد ، من خلال صفحتهم على الفيس بوك بتاريخ 5 سبتمبر 2020م ، وتتعلق بالتعامل التجاري المنظم في مرزق ، والنسخة الأصلية للوثيقة عندهم ، والوثيقة موجودة في ملحق رقم (1) محققة ومترجمة .

[1]أحمد الياس حسين ، سلع التجارة الصحراوية ، الصحراء الكبرى ، ترجمة : عماد الدين غانم ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، ص204 .

[1]رجب نصير الأبيض ، مرجع سابق ، ص 174 .

[1]المرجع نفسه ، ص 175 .

[1]جيمس وبلارد ، الصحراء الكبرى ، مكتبة الفرجاني ، بيروت ، 1979م ، ص 174 .

[1]عبدالقادر جامي ، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ، ترجمة : محمد الأسطى، دار المصراتي ، طرابلس - ليبيا ، 1974م ، ص 110 .

[1]عماد الدين غانم ، رحلة عبر أفريقيا ، مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1996م ، ص 292.

[1] رجب نصير الأبيض ، مرجع سابق ، ص 177 .

[1] المرجع السابق نفسه ، الصفحة نفسها .

[1]المرجع نفسه ، الصفحة نفسها ؛ وللمزيد أيضا أنظر : حسن المدني علي كريم ، علاقة ليبيا ببلدان ما وراء الصحراء في عهد يوسف باشا القرمانلي 1795 - 1832م ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 2009م ، ص (156 - 163).

[1] الباحث .

[1] حسن المدني علي كريم ، مرجع سابق ، ص 156 .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] حسن المدني علي كريم ، المرجع السابق نفسه ، ص 157 .

[1] أحمد الياس حسين ، سلع التجارة الصحراوية ، من أعمال الندوة العلمية العالمية للتجارة عبر الصحراء ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1979م ، ص 208 .

[1] توفيق الخشاب ، إبراهيم المشهداني ، أفريقيا جنوب الصحراء ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، 1978م ، ص (41 - 43) .

[1] جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية للعلاقات العربية الأفريقية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999م ، ص 207 .

[1] حسن المدني علي كريم ، مرجع سابق ، ص 159 .

[1] المرجع نفسه ، الصفحة نفسها .

[1] تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1988م ، ص 183 .

[1] رجب نصير الأبيض ، مرجع سابق ، (268 - 269) .

[1] المرجع نفسه ، ص 270 .

[1] تيسير بن موسى ، مرجع سابق ، ص 182 .

[1] حسن المدني علي كريم ، مرجع سابق ، ص 163 .

[1]بلاد السودان الأوسط وتشمل مناطق حوض بحيرة تشاد وشمال نيجيريا ، أما بلاد السودان الغربي فتقع بين حوض نهر السنغال والحوض الأوسط لنهر النيجر والمجرى الأعلى لنهر الفوتا ، للمزيد أنظر : محمد زنبير ، تجارة القوافل في المغرب ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404 هـ - 1984م ، ص 165 .

[1]المرجع نفسه ، ص 162 .

[1]برنو هو اقليم نيجيريا الشمالية الحالية وانكرا غربا ، ويمتد شرقا على مسافة نحو 500 ميل ويبعد بنحو 150 ميلا عن منبع النيجر ، كما يتاخم جنوبا الصحراء سات ، وشمالا الفلوات المقابلة لبرقة ، للمزيد انظر : يحيى بوعزيز ، (طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى) ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404هـ - 1984م ، ص 129 .

[1]بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة : الهادي أبو لقمة ومحمد عزيز ، جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1988م ، ص 397 .

[1]المرجع نفسه ، ص 398 .

[1]فرنشيسكو كورو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، ترجمة : خليفة محمد التليسي ، دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، 1971م ، ص 86 - 87 .

[1]المرجع نفسه ، ص 88 .

[1]علي عبداللطيف حميدة ، المجتمع والدولة والاستعمار في ليبيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1995م ، ص 46 .

[1]رجب نصير الأبيض ، مرجع سابق ، ص 219 .

[1]تمبكتو : تقع مدينة تمبكتو في دولة مالي الحالية على الحافة الجنوبية للصحراء الكبرى بما يعرف بمنحنى نهر النيجر وتعتبر مدينة تمبكتو حلقة وصل بين السودان الغربي والصحراء الكبرى ، وهي قريبة من نهر النيجر حيث يبعد عنها في فصل الصيف ستة عشر ميلا ، أما في الخريف فإن ماء النهر يقترب منها فيصل الى قرية بلكبر التي تبعد عن تمبكتو سبعة أميال ، يحيي بو عزيز ، مرجع سابق ، ص 129 .

[1]المرجع نفسه ، ص 130 .

[1] خريطة لطرق القوافل التجارية الصحراوية في أفريقيا ، ومنها الطرق التي تمر عبر مرزق وتتشعب في ليبيا وأفريقيا وقد وضعها الباحث في ملحق رقم (3) للبحث للتوضيح أكثر .

[1]رجب نصير الأبيض ، مرجع سابق ، ص225 .

[1]انتوني جوزيف كاكيا ، ليبيا خلال العهد العثماني الثاني ، 1835 - 1911م ، دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، 1975م ، ص 137 .

[1]يحيي بو عزيز ، مرجع سابق ، ص 130 .

[1]رجب نصير الأبيض ، مرجع سابق . ص 226 .

[1]عمر عبدالرزاق النقر ، الحج في غرب أفريقيا ، ترجمة : صفية صالح عيسى ، جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، 1989م ، ص (161 - 162) .

[1]المرجع نفسه ، ص 184 .

[1]المرجع نفسه ، ص 185 .

[1]المرجع نفسه ، ص 186 .

[1]أحمد صدقي الدجاني ، ليبيا قبل الإحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني الثاني ، 1882 - 1911 ، القاهرة ، 1971م ، ص 257 .

[1]المرجع نفسه ، ص 258 .

[1]عمر عبدالرزاق النقر ، مرجع سابق ، ص 172 .

الملاحـق

ملحق رقم (1) :

الوثائق غير المنشورة

المصدر : من أرشيف قبيلة أولاد بن كابه ، وقد نقلها الباحث من على صفحتهم في الفيس بوك (قبيلة أولاد بن كابه) بتاريخ 5 سبتمبر 2020م ، والذين يسكنون في سبها بحي الجديد ، والنسخة الأصلية بحوزتهم ، والوثيقة يعود تاريخها إلى العهد العثماني الثاني 1270 هجري ، 1855 ميلادي ، وتوضح الوثيقة التعامل التجاري المنظم في مرزق خاصة وليبيا عامة .

نص الوثيقة :

معروض عبيدالكم انه يوم الخميس الموافق العشرين من شهر ربيع الاول سنة التاريخ حضر بالمجلس احد اهالي القايقاميه وهو محمد بن عبدالرحمن الهوني وقدم عرض حال يذكر فيه انه وكيلا من طرف ابن عمه التاجر الحاج علي بن عبدالله الهوني وهو في هذه السنة سافر للمحروسة طرابلس لاجل معاطاة البيع والشراء وبأنفاس الدولة العلية وعدالة السلطنة السنية باع مابيده من الرقيق واشترى من السلع التي تليق بأرض القبلة ومن الجملة اشترى من المركانتي مشاني الذمي مقاطع الاجه بولوحه وفي هذا الدفعه ارسل لي الحاج علي المذكور ستة وعشرين مقطع يذكر لي سعر المقطع خمسة وستين قرش ولما صار تنزيل البضاعة المرسلة التي من طرف الموكل الموصي اليه في جمرك القايقاميه وصار فتح بعض مقاطع انوجدوا الخلاف العادة الجارية بين التجار فرفعة يدي عن تسليم المقاطع وابقيتهم في الكمرك لهذا مضمون عرض حال فعند ذلك صارت المذاكرة بالمجلس وقضى نظر الجميع بجلب تجار من التجار المعتبرين وتحضر المقاطع والكشف عليهم لأجل التحقيق فامر يقام باشا بتحضير التجار فحضر من التجار بنغازي الحاج محمد السلاك، ومحمد غوقه ومن التجار السواكنة الحاج محمد باشاله، والحاج السنوسي الغزالي، ومن تجار المجابرة محمد اللحياوي وعبدرب الني المصري مع حضورنا نحن أعضاء المجلس، وصار فتح المقاطع واحداتً بعد واحد؛ فوجدناهم جميعهم ليسوا موافقين إلى مقاطع الجنس المذكور وانما هم مثل المقاطع الذي اشتراه الحاج محمد الوداني من التاجر المذكور قدمنا قبل الان مضبطة من خصوصهم فمنهم من هو ملفق على خمسة اطراف ومنهم من هو على اربعة اطراف وكل طرف من لون ومنهم الذي هو ناقص في الطول من العشرين ذراع الى لخمسة والعشرين ذراع الانه اصل المقاطع بولوحة المعتادين من الخمسة والسبعين ذراع الى السبعين ذراع فعند ذلك تبين الى جملة انه غش وخديعة عظيمة ان هي وقعت من التاجر الذمي المذكور وايضا لما صار امعان النظر في ربط المقاطع وجدناهم كالعادة في الطول واللون واحد هم خارمين من مشاني بذكر مشتريهم فعند ذلك صار توقف المذكورين في الكمرك وها هو يأتي اعتابكم الكريمة مقطع من المقاطع المرقومه نيمونة لأجل الاطلاع على ذلك ولأجل اعراض هذه الكيفية صارت المضبطة بمجلس مرزق وقدمة الى اعتابكم الزكية والامر الي حضرة ولي الامر افندم

ختم : الحاج محمد باشله (تاجر سوكني) ، ختم : السنوسي الغزالي (تاجر سوكني)

ختم : بوبكر احمد ، ختم : غير واضح (شيخ بلد مرزق) ، ختم : الحاج احسين التيتيوي

ختم : الحاج محمد بن علوة ، ختم : أبوبكر التيتيوي (أمين الصندوق) ، ختم : محمد ماكرسوا

ختم : أحمد ... (كاتب مالي) ، ختم : الشريف عبدالرحمن بركان (نقيب الأشراف)

ختم : محمد زين العابدين (نايب مرزق) ، ختم : حسن عبره ، ختم : عثمان ... (كمركجي مرزق) ، ختم: أحمد بن علي عبيدة (تاجر هوني) ، ختم : محمد العامري (تاجر سوكني)

ختم : محمد الليحاوي (تاجر مجبري) ، ختم : محمد غوقة (تاجر من بنغازي) ، ختم : .... غير واضح (تاجر سوكني) ، ختم : الشيخ يونس (تاجر مجبري) ، ختم : عبد رب النبي بن أبوبكر (تاجر مجبري) ، ختم : الحاج محمد السلاك (تاجر من بنغازي) .

تحقيق وترجمة : محمد بن سعد بن معتوق بن عبدالرحمن السرحاني بن كابه ، يحمل بطاقة شخصية رقم 109723 ، معتمد عند محكمة سبها الابتدائية لنقل الوثائق والحجج العرفية من الخط المغربي إلى خط النسخ .

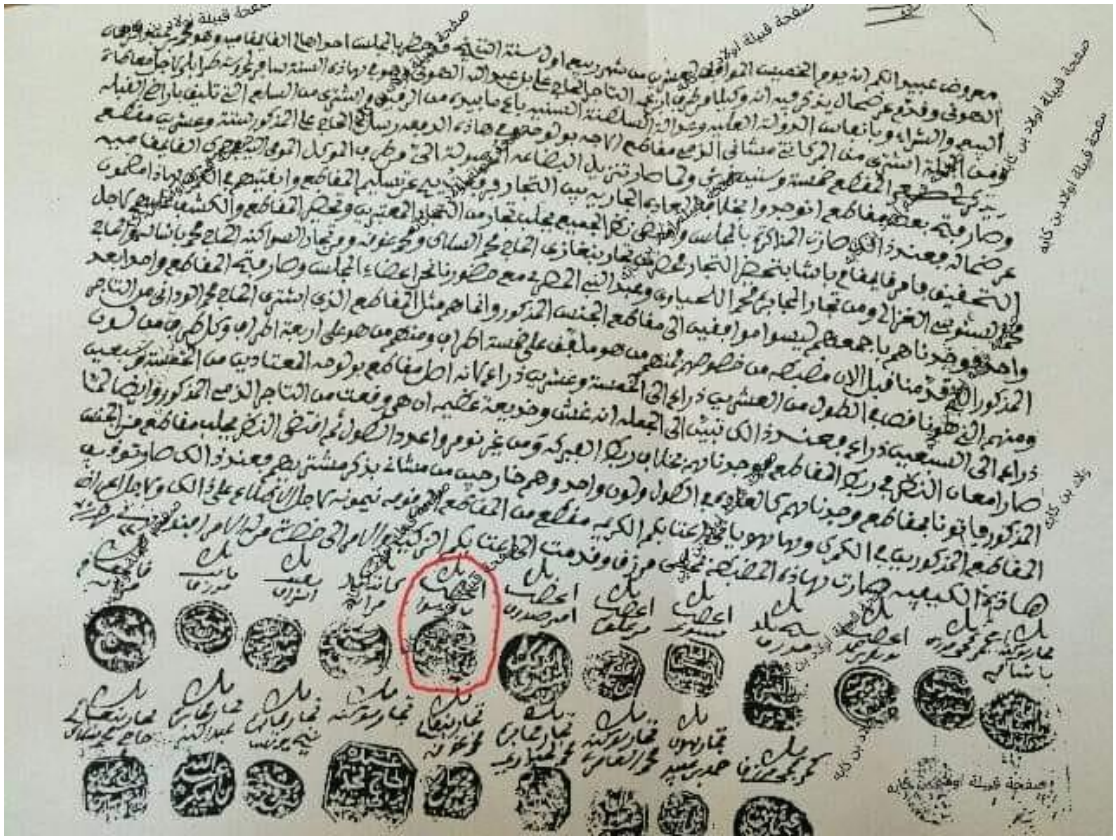

ملحق رقم (2)

الوثائق المنشورة

المصدر:

من كتاب: رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر؛ دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية، طرابلس -ليبيا، 1998م، ص307.

وهي وثيقة عثمانية وهي رسالة من مدير (والي) إيالة طرابلس الغرب محمد أمين باشا إلى مدراء المناطق بخصوص رحلة قاقليوفي لتولي مهام الوكالة للقنصلية البريطانية في مرزق ، الوثيقة مؤرخة في 23 ذي الحجة عام 1258 هجرية ؛ الموافق : 23 يناير 1843 ميلادية ، وهي وثيقة تحمل رقم 111، ملف العهد العثماني الثاني ، إيالة طرابلس الغرب ، شعبة الوثائق والمخطوطات ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاري، طرابلس - ليبيا .

ملحق رقم (3)

الخرائط

المصدر: من كتاب: رجب نصير الأبيض، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر؛ دراسة في التاريخ السياسي والإقتصادي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1998م ، ص324.

وهي خريطة طرق القوافل التجارية الصحراوية في أفريقيا، وتوضح الخريطة شبكة الطرق التجارية العابرة للصحراء الليبية وأسماء المدن والواحات وتبرز مدينة مرزق عاصمة فزان كأحد المراكز الرئيسية لطرق القوافل التجارية وتحمل في الخريطة رقم (15).

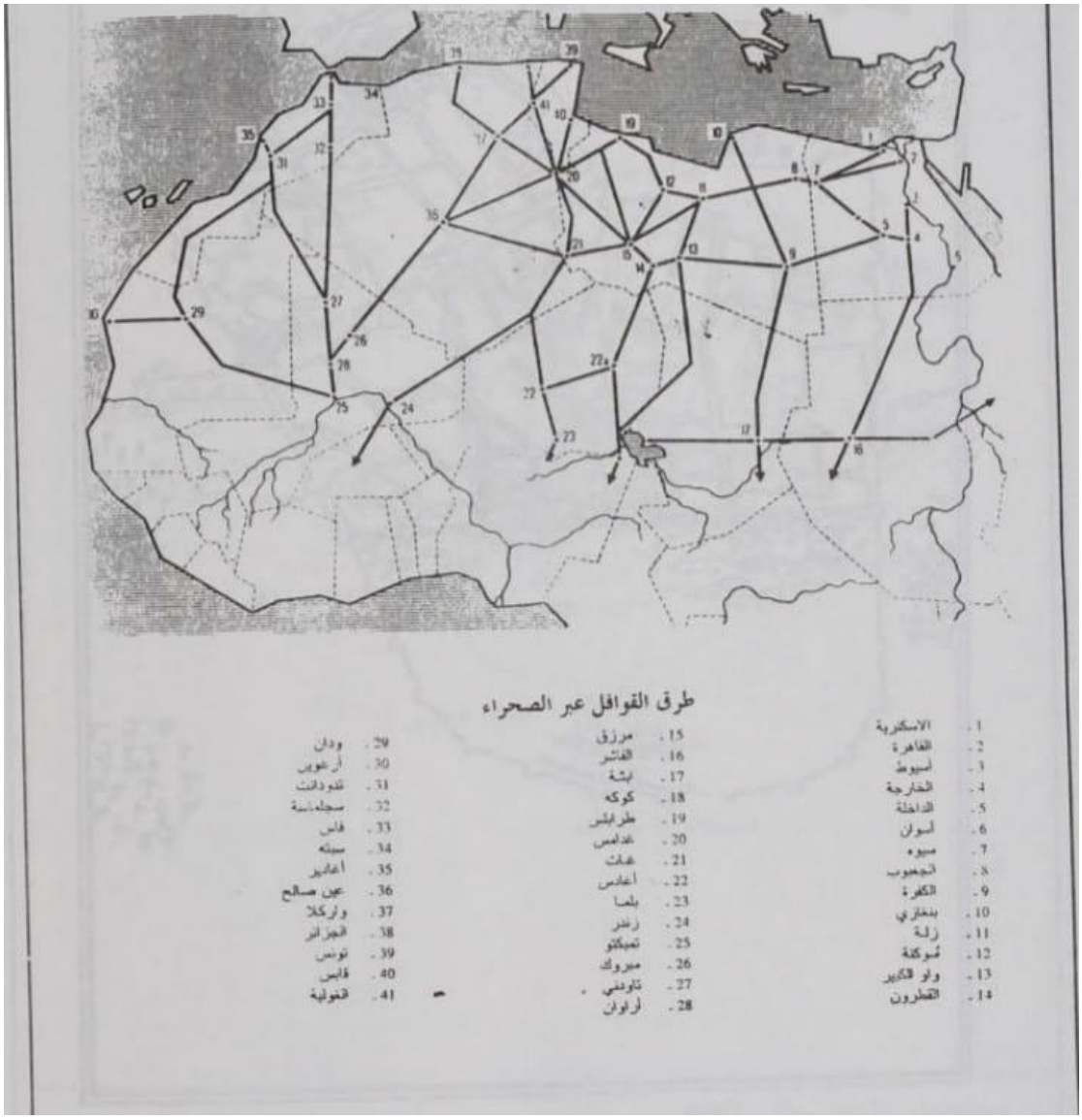

قائمة المصادروالمراجع

أولا : الوثائــق :

أ - الوثائق غير المنشورة :

* **وثيقة خاصة** : وهي تتعلق بمخالفة في البيع ، حيث وجد أن هناك تاجر يهودي ذمي غش في البيع من خلال بضاعته التي باعها للتاجر الهوني ، وقد عقد اجتماع كبير لتجار فزان المعتبرين بسوق مرزق وكان في العام 1270 هجرية ، 1855 ميلادية ، وتبين أن هناك غش واضح في البضاعة وتم محاسبة اليهودي المعروف (مشاني الذمي) ؛ والمقصود بالذمي من أهل الذمة والذي باع مقاطع كتان تعرف بنوع (بولوحة) ، وتم الكشف على البضاعة ووجدت ليس كما ذكر المشتري ، وبالتالي تمت محاسبة هذا التاجر على غشه ، والوثيقة مترجمة ومحققة وموجودة في ملحق رقم (1) .

ب -الوثائق المنشورة:

وهي وثيقة عثمانية وهي رسالة من مدير (والي) إيالة طرابلس الغرب محمد أمين باشا إلى مدراء المناطق بخصوص رحلة قاقليوفي لتولي مهام الوكالة للقنصلية البريطانية في مرزق ، الوثيقة مؤرخة في 23 ذي الحجة عام 1258 هجرية ؛ الموافق : 23 يناير 1843 ميلادية ، وهي وثيقة تحمل رقم 111، ملف العهد العثماني الثاني ، إيالة طرابلس الغرب ، شعبة الوثائق والمخطوطات ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، وهي منقولة من كتاب : رجب نصير الأبيض ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ؛ دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1998م ، ص307 ، والوثيقة موجودة في ملحق رقم (2) .

ثانيا: الكتــب:

[1]- أحمد صدقي الدجاني ، ليبيا قبل الاحتلال الإيطالي أو طرابلس الغرب في أواخر العهد العثماني الثاني ، 1882 - 1911 ، القاهرة ، 1971م .

[2]- أحمد الياس حسين ، سلع التجارة الصحراوية ، الصحراء الكبرى ، ترجمة : عماد الدين غانم ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا .

[3]- الأمين محمد الماعزي ، سكان فزان ، دراسة وصفية قديما وحديثا ، دار الكتب الوطنية ، بنغازي ، 2003م .

[4]- انتوني جوزيف كاكيا ، ليبيا خلال العهد العثماني الثاني 1835 - 1911 ، دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، 1975م

[5]- بوفيل ، تجارة الذهب وسكان المغرب الكبير ، ترجمة : الهادي أبولقمة ومحمد عزيز ، جامعة قار يونس ، بنغازي ، 1988م .

[6]- توفيق الخشاب ، ابراهيم المشهداني ، أفريقيا جنوب الصحراء ، وزارة التعليم العالي والبحث العلمي ، بغداد ، 1978م .

[7]- تيسير بن موسى ، المجتمع العربي الليبي في العهد العثماني الثاني ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1988م .

[8]- جمال زكريا قاسم ، الأصول التاريخية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، 1999م

[9]- جيمس وبلارد ، الصحراء الكبرى ، مكتبة الفرجاني ، بيروت ، 1979م

[10]- حسن المدني علي كريم ، علاقة ليبيا ببلدان ماوراء الصحراء في عهد يوسف باشا القرمانلي 1795 - 1832 ، المركز الوطني للمحفوظات والدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 2009م .

[11]- رجب نصير الأبيض ، مدينة مرزق وتجارة القوافل الصحراوية خلال القرن التاسع عشر ؛ دراسة في التاريخ السياسي والاقتصادي ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1998م .

[12]- عبدالسلام محمد نوح ، اعرف بعض الأشياء عن مرزق ، مطابع الثورة العربية ، طرابلس -ليبيا ، 1984م .

[13]- عبدالقادر جامي ، من طرابلس الغرب إلى الصحراء الكبرى ، ترجمة : محمد الأسطى ، دار المصراتي ، طرابلس - ليبيا ، 1974م .

[14]- علي عبداللطيف حميدة ، المجتمع والدولة والإستعمار في ليبيا ، مركز دراسات الوحدة العربية ، بيروت ، 1995م .

[15]- علي أبو القاسم أبو قيلة ، عمارة مدينة القديمة الصحراوية ، مطابع الثورة العربية ، طرابلس ، 1990م

[16]- عماد الدين غانم ، رحلة عبر أفريقيا ، مشاهدات الرحالة الألماني رولفس في ليبيا وبرنو وخليج غينيا ، مركز جهاد الليبيين للدراسات التاريخية ، طرابلس - ليبيا ، 1996م

[17]- عمر عبدالرزاق النقر ، الحج في غرب أفريقيا ، ترجمة : صفية صالح عيسى ، جامعة الخرطوم ، الخرطوم ، 1989م .

[18]- فرنشيسكو كورو ، ليبيا أثناء العهد العثماني الثاني ، ترجمة : خليفة محمد التليسي ، دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، 1971م .

[19]- فريدريك هورنمان ، الرحلة من القاهرة إلى مرزق عاصمة فزان 1797 ، ترجمة مصطفى محمد جودة ، دار الفرجاني ، طرابلس - ليبيا ، 1993م .

[20]- محمد زنبير ، تجارة القوافل في المغرب ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404 هـ - 1984م .

[21]- منصور محمد البابور ، مرزق التحضر والقاعدة الاقتصادية ، ط2 ، بنغازي ، 1995م .

[22]- يحيى بوعزيز ، (طرق القوافل والأسواق التجارية بالصحراء الكبرى) ، تجارة القوافل ودورها الحضاري حتى نهاية القرن التاسع عشر ، معهد البحوث والدراسات العربية ، بغداد ، 1404هـ - 1984م.